موقف القوقاز من حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦) دراسة في نضال القوقازيين الشماليين ضد روسيا

م.د عبدالله كريم كاظم الموسوي
المديرية العامة للتربية في المثنى
م.د مهند عبدالعزيز العيسى
جامعة البصرة – كلية الاداب

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٤/٥/١٢
تاريخ القبول: ٢٠٢٤/٥/٢٩

الملخص

سلط هذا البحث الضوء على جزء من نضال القوقازيين الشماليين ضد الوجود الروسي في مناطقهم، وكيف حاولوا استغلال التنافس الدولي من أجل نيل استقلالهم، سيما خلال حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦)، وقد توصل البحث الى أن القوقازيين أدوا دورًا حربيًا كبيرًا ضد الاحتلال الروسي، ومارسوا نشاطًا سياسيًا ودبلوماسيًا ناجحًا في جذب انتباه الرأي الدولي آنذاك لقضيتهم، بحيث لو لا تضارب المصالح بين الدول الكبرى، لكانت الظروف ملائمة لاستقلال شمال القوقاز عقب حرب القرم.

الكلمات المفتاحية: القوقاز ، روسيا ، الشركس ، شامل ، العثمانيين

The position of the Caucasus on the Crimean War (1853-1856) A study of the struggle of the North Caucasians against Russia

Dr. Abdullah Karim K. Al-Moussawi
General Directorate of Education in Muthanna
Dr. Muhannad Abdulazeez Essa
University of Basra - College of Arts

Abstract

This research shed light on part of the struggle of the North Caucasians against the Russian presence in their regions, and how they tried to exploit international competition in order to gain their independence, especially during the Crimean War (1853-1856). The research concluded that the Caucasians played a major war role against the Russian occupation, They carried out successful political and diplomatic activity in attracting the attention of international opinion at the time to their cause, so that had it not been for the conflict of interests between the major countries, conditions would have been appropriate for the independence of the North Caucasus following the Crimean War.

المقدمة:

يعود أول تواجد روسي في منطقة شمال القوقاز الى القرن السادس عشر، حين سيطرت القوات الروسية على ابواب استراخان عام ١٥٥٦، ومنذ ذلك التاريخ دخل الروس في منافسةٍ طويلةٍ مع ايران والدولة العثمانية من أجل السيطرة على هذه المنطقة، وبعد حقبة طويلة من الصراع، نجح الروس في ترسيخ وجودهم في المنطقة، وقد شهد القرن التاسع عشر التدخل التدريجي الواسع لروسيا في القوقاز الشمالية.

أبدى سكان القوقاز الشمالي بمناطقها الغربية والشرقية على حدٍ سواء، ردود افعال ازاء التواجد التوسعي الروسي في مناطقهم، وهبُّوا للدفاع عن اراضيهم بوجه القوات الروسية، فظهرت حركات مقاومة متعددة منها ذات الطابع الديني والسياسي، ومنها حركات مقاومة محلية بزعامة حكام وخوانين القوقاز المسلمين.

جاء هذا البحث ليسلط الضوء على جزء من نضال القوقازيين الشماليين ضد الوجود الروسي في مناطقهم، وكيف حاولوا استغلال التنافس الدولي من أجل نيل استقلالهم، سيما خلال حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦)، وقد قسم البحث الى ثلاث محاور: تناول المحور الاول مدخل جغرافي تاريخي للتعريف بموقع منطقة القوقاز وخصائصها الجغرافية، وأهمية ذلك في التنافس الدولي عبر مراحل تاريخية مختلفة، أما المحور الثاني تتبع بشكل موجز موقف القوقازيين من التنافس الدولي قبل حرب القرم، في حين ناقش المحور الثالث نشاط القوقازيين العسكري والسياسي خلال حرب القرم، وكيف حاولوا استغلال تلك الحرب لصالح قضيتهم في نيل استقلالهم.

اعتمد البحث على مجموعة من المصادر تنوعت بين الكتب العربية والمعربة والرسائل والاطاريح الجامعية والبحوث المنشورة في المجلات العلمية، فضلًا عن الكتب والبحوث باللغتين الانكليزية والتركية، والتي اكتفينا بالإشارة اليها في هوامش البحث.

أوّلاً : مدخل جغرافي تاريخي

تقع منطقة القوقاز بين خطي عرض ٣٥-٤٧ درجة شمالاً وخطي طول ٣٩-٤٥ درجة شرقاً، وتبدأ من شبه جزيرة تامان في شمال شرق البحر الأسود وتمتد إلى شبه جزيرة أبشيرون في غرب بحر قزوين. وتفصيلاً، يوجد البحر الأسود على حدودها الغربية، وبحر قزوين على حدودها الشرقية، ونهر أرباتشاي أراس وتشوروه على حدودها الجنوبية، ومصب نهر الدون ومستنقع مانيتش مع بحيرات متعددة على حدودها الشمالية[١].

تشغل القوقاز مساحة واسعة من الأرض قُدِرتْ بـ (٤٤٠ كم٢) وذلك بعد اضافة مساحة السلسلة الكليّة لجبال القوقاز التي تُقدر بـ (١٤٠كم٢)، وكان هذا العالم المتمايز بخصوصياته

الجغرافية والطبيعية ملهماً للنظريات الجيوسياسية العميقة, ونظرية السيطرة على قلب العالم, إذ تفصل جبال القوقاز آسيا عن اوربا وتُقسم بلاد القوقاز إلى جزء شمالي يقع ضمن اوربا, وجنوبي يقع ضمن أقصى غرب آسيا[٢].

تمتد سلسلة جبال القوقاز من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي بطول (١٢٠٠ كم), وتبدأ هذه السلسلة الجبلية من شبه جزيرة تامان على البحر الأسود وتنتهي عند جزيرة ابشيرون ومدينة باكو على بحر قزوين[٣]، وإنّ امتدادها هذا بين بحرين داخليين جعلها شبيهة بسد أو جسر من اليابسة ما بين البحر الاسود غرباً الذي يفصلها عن اوربا الشرقية وبحر قزوين شرقاً الذي يفصلها عن آسيا الوسطى[٤]. ولذلك يعد اقليم القوقاز حلقة وصل بين قارتي آسيا واوربا ما جعله ذا أهمية استراتيجية للدول المجاورة وللعالم[٥].

ونظراً لأهمية بلاد القوقاز وموقعها الجغرافي الهام فقد كانت عبر التاريخ مسرحاً للغزوات والمعارك[٦], ففي العصر الحديث كانت القوقاز مجزأة منذ نهاية الحكم المغولي إلى كيانات وممالك قبلية صغيرة ما جعلها عرضة للتنافس بين الدول المجاورة الكبرى[٧]، وشهد القرن الخامس عشر في نهايته ظهور دولتين اسلاميتين قويتين هما الدولة العثمانية في بلاد الاناضول والدولة الصفوية في بلاد فارس, وشرعت هاتان الدولتان في التنافس, فكانت القوقاز من أبرز ميادين التنافس بينهما, إذ ركزت الدولة الصفوية نشاطها في منطقتي اذربيجان وبحر قزوين, بينما ركز العثمانيون نشاطهم في شمال وغرب القوقاز, وتنافست الدولتان للسيطرة على جورجيا وارمينيا[٨]. كما شهد ذلك الوقت قيام الدولة الروسية حول موسكو والمناطق المحيطة بها, ومن ثم تمكنت من احتلال خانية قازان عام ١٥٥٢، ومن ثم القضاء على سيطرة التتار والمغول على تلك المناطق، وبدأوا بالتوسع على حساب الامارات التتارية المسلمة, إذ تمكنوا عام ١٥٥٦ من احتلال استرخان، وبذلك أصبحت روسيا دولة مجاورة لشمال القوقاز[٩].

وبعد صراع طويل استطاعت روسيا أن تتغلب في ذلك الصراع، وترسخ نفوذها في القوقاز بعد ضعف الدولة العثمانية والدولة الفارسية, ويبدو ان الروس قد استغلوا الصراع بين الدولتين العثمانية والفارسية من اجل أضعافهما، ومن ثم الانفراد بكل دولة على حدة لتثبيت أقدامها في القوقاز, إذ شنت روسيا القيصرية (١٢٠) حرباً ضد العثمانيين الاتراك استغرقت ١٥٠ عاماً[١٠]، وشنت ٦٠ حرباً ضد الفرس استغرقت ٩٤ عاماً[١١]، وهكذا أضعفت روسيا كل من العثمانيين والفرس، واستطاعت بعد حروب طويلة ارغام بلاد فارس على عقد معاهدة تركمانجاي عام ١٨٢٨ والتي اعترفت ايران بموجبها إلى القيصر الروسي بالسيادة على القوقاز[١٢], وارغام

العثمانيين على عقد معاهدة ادرنة عام ١٨٢٩ وفيها اعترفت الدولة العثمانية بسيطرة الروس على شمال القوقاز عدا ميناء بوتي وميناء انابا وكذلك معظم شبه جزيرة القرم[١٣].

ثانيا : موقف القوقاز من التنافس الدولي قبل اندلاع حرب القرم عام ١٨٥٣:

على الرغم من الهزائم التي الحقتها روسيا بالدولتين العثمانية والفارسية إلا أنها عجزت عن فرض سيطرتها الفعلية على مناطق شمال وغرب القوقاز الجبلية، بسبب المقاومة التي ابداها سكان تلك المناطق للغزو الروسي، فقد قاوم الابخاز والشركس في غرب القوقاز في حين تولى الشيشانيون والداغستانيون المقاومة في شرقها[١٤].

كانت اشرس مناطق المقاومة هي المنطقة الجبلية الشرقية في الشيشان وداغستان، إذ ظهرت حركة تحرير وطنية ذات طابع ديني هدفت إلى إنقاذ القوقاز من حركة الغزو الروسية، قاد تلك الحركة الشيخ منصور الشيشاني الذي رفع شعار الجهاد ضد الروس[١٥]، ولقيت دعوته تجاوبًا كبيراً فاتحدت شعوب شمال القوقاز تحت قيادته، ورغم تحقيق بعض الانتصارات الجزئية في عام ١٧٨٥ لكن وصول امدادات روسية كبيرة أدت الى هزيمته في العام ذاته، فانسحب الثوار الى الجبال وشنوا حرب عصابات ضد القوات الروسية[١٦].

وعند قيام الحرب الروسية العثمانية عام ١٧٨٧، استنجد الاتراك بالشيخ منصور فلبى النداء وظهر فجأةً بين الشراكسة في الغرب الذين التفوا حوله وقاموا بمهاجمة القوات الروسية، وفي اثناء حصار الروس لقلعة انابا عام ١٧٩١ استبسل الشيخ منصور ومتطوعيه في المقاومة، إلا أن خيانة قائد الحامية العثمانية أدت الى دخول الروس الى قلعة انابا، وسقط خلال المعارك الشيخ منصور جريحاً، فتم أسره وأرسلوه الى احد السجون الروسية إذ قتل هناك عام ١٧٩٤[١٧].

وبعد مقتل الشيخ منصور انتهت المقاومة الاسلامية في شمال القوقاز، وقام الروس في بسط نفوذهم على القوقاز، ووضعوا خططاً جديدة تتضمن تنصير الشركس واخراجهم من أرضهم، وعندما فشلو في تحقيق ذلك، لجأوا الى سياسة الارض المحروقة وحرب الابادة الكاملة[١٨]، وقد أدت تلك السياسة الى اندلاع حركة وطنية اسلامية عرفت بالحركة المريدية[١٩] التي بدأ نشاطها العسكري في عهد الملا محمد غازي الذي هاجم القوات الروسية في داغستان والشيشان حتى سقط شهيداً عام ١٨٣٢[٢٠]، وبعد مقتله اختار المريدين حمزات بك زعيماً لهم، إلا أنه لم يكن يتمتع بقدرات سلفه من حيث الجرأة والاقدام، وانتهى الامر بقتله بعد عامين[٢١]، فبايع المريديون الشيخ شامل اماماً جديداً لهم، فتوسعت الحركة في عهده، وتمكن من مقاومة الروس واحراز الانتصارات عليهم حتى اضطر للاستسلام عام ١٨٥٩[٢٢].

اما في المنطقة الغربية من شمال القوقاز (شركسيا الغربية) فقد اختلف الوضع، ففي هذه المناطق بدأت الاعمال العسكرية للقوات الروسية منذ بداية القرن التاسع عشر على شكل حملات سماها الروس حملات تأديبية، منها حملة ١٨٢٢ عبر نهر الكوبان التي تم فيها احراق ١٧ قرية شركسية بعد نهبها[٢٣].

وفي اثناء الحرب الروسية العثمانية (١٨٢٨—١٨٢٩)، طلب العثمانيون المعونة من الشراكسة بعد الحصار الروسي لقلعة انابا في عام ١٨٢٨، فقام الشراكسة بتشكيل عدة وحدات للدفاع عن القلعة، ولكنهم اضطروا الى مغادرتها قبل استسلامها للروس، فكان لهزيمة العثمانيين في انابه نتيجة سيئة وهي انها وضعت الشراكسة في موضع شائك، بحيث كان عليهم أن يحددوا تكتيك المرحلة القادمة، لا سيما انه بعد احتلال الروس للقلعة مباشرةً، قام القائد العام للقوات الروسية، على خط جبهة القوقاز وفي البحر الاسود، بأرسال طلب للشراكسة بالخضوع الكامل دون قيد او شرط، وهدد بأنه في حال رفض طلبه فإنه سيلجأ الى القوة العسكرية[٢٤].

انتهت الحرب الروسية العثمانية بتوقيع معاهدة أدرنه في ١٤ ايلول ١٨٢٩[٢٥]، والتي نصت على سيادة روسيا على الجزء الشمالي الغربي من بلاد الشراكسة بدلا من العثمانيين[٢٦]، إلا أن الشراكسة لم يعترفوا بصلاحية ذلك الاتفاق الذي لم يشاركوا فيه[٢٧]، واعتبروا شركسيا كانت دائماً مستقلة[٢٨]، لدرجة حتى بوجود باشا انابه كان الشراكسة يعقدون اتفاقات تجارية مع الروس حول التجارة الساحلية لهم[٢٩]، وفور انتهاء الحرب اتخذت روسيا إجراءات للسيطرة على المنطقة عن طريق القتال، فاستخدموا كل الامكانيات المتاحة لهم، للهجوم على كافة الشعوب الجبلية والاستيلاء على اهم النقاط في أراضيهم[٣٠]، بعد ذلك قامت قوة كبيرة بعبور نهر الكوبان ودخلت اراضي شابيسغ الذين قاوموا بشدة، إلا أن القوة استطاعت تدمير العديد من القرى، وعندما اقتنع الشراكسة بجدية النوايا الروسية تجاه وطنهم واراضيهم، أرسلوا وفداً الى القيادة الروسية على الطرف الآخر لنهر الكوبان، بشكوى حول انتهاك الحدود من قبل القوات الروسية، والاستعلام عن السبب والاستيضاح، فأعلمتهم القيادة الروسية ان السلطة العثمانية قد تنازلت عنهم وعن اراضيهم لروسيا، وانهم الآن اتباع القيصر الروسي[٣١].

لذلك قرر الشراكسة عدم الاعتراف بمعاهدة ادرنه والدفاع عن حريتهم واستقلالهم وفي ايديهم السلاح، إلا أن صراعهم جرى في ظروف دولية معقدة جداً[٣٢]، فضلاً عن انهم لم يكونوا موحدين في دولة واحدة، اذ لم يكن شمال القوقاز يتمتع بكيان سياسي موحد[٣٣] ففي الشرق كان شامل يسيطر على الشيشان وداغستان، ونجح في تحدي القوات الروسية لسنين طوال وتمكن من اقامة نظام حكم اسلامي في المناطق التي كانت خاضعة له، اما في شمال غرب القوقاز

(شركسيا) كان ما يعرف بالمؤتمرات الشعبية التي كانت تعقد بين مختلف القبائل الشركسية من اجل التنسيق وتنظيم صفوفهم، حيث كان يسود النظام الديمقراطي، فكان الحكام ينتخبون بشكل مباشر من الشعب فقد كان هناك ١٢ مقاطعة مكونة لتلك الدولة الكونفدرالية، وكانت كل مقاطعة تنتخب نواباً عنها للاجتماعات العامة[٣٤]. يبدو ان المجتمع الشركسي لو انه لم يعاني من الحرب الروسية المفروضة كان يسير في اتجاه التطور في انشاء دولة قومية وفق التعاريف الحديثة.

استمر الشراكسة في رفض معاهدة ادرنه ونتائجها فيما يتعلق بمصيرهم، ففي تشرين الثاني عام ١٨٣٠ ولأول مرة بعد مرور عام على معاهدة ادرنه، عقد شابيسغ وناتخواي اجتماعاً شعبياً قرروا فيه مقاومة الهجوم الروسي بكل الوسائل المتاحة، وفي نفس الوقت تقرر ارسال وفد شركسي الى اسطنبول بهدف تغيير المادة في معاهدة ادرنه التي تقضي وبشكل غير قانوني بنقل شركسيا الى روسيا، وتم انتخاب (زانوقة صفر بيك) ممثل الارستقراطية لدى ناتخواي رئيساً للوفد، وكان صفر بيك يتقن اللغة التركية وله تأثير على الاتراك، وقد تم استقبال الوفد بشكل غير رسمي من قبل الحكومة العثمانية[٣٥]، ربما كان ذلك بسبب خشية الدولة العثمانية من اثارة روسيا.

اخبرت الحكومة العثمانية الوفد الشركسي، بأنه اذا اعترف الشراكسة بتبعيتهم للسلطان، فأن السلطان لن يسمح بوقوع اتباعه في ايدي الكفار، وبعد سفر الوفد بقي صفر بيك في اسطنبول، إلا أنه بعد مدة قصيرة، وبناءً على ضغوط شديدة من الحكومة الروسية، تم وضعه في الاقامة الجبرية في بلدة (بازارد دجيك)[٣٦].

سر الشراكسة من اقتراح المعونة العثمانية الحربية، إلا أنهم لم يقبلوا بالاعتراف بالتبعية العثمانية، ومع ذلك فأنهم لم يكونوا يخافون السلطة العثمانية، بل كانوا يخافون من قوة روسيا، ولذلك فإن الوفد لم يرفض الاقتراح العثماني[٣٧].

كانت القيادة الروسية العسكرية تفهم تماماً أن معاهدة أدرنه فقط حبر على ورق، ولا يريد الشراكسة أن يعترفوا عليها, ولذلك فإن اخضاعهم لم يكن ليتم إلا بقوة السلاح، لذلك بدأت الاعمال الحربية الهجومية على أرض الشراكسة[٣٨].

وقد شهد العمل التحرري للشراكسة تطوراً خلال ثلاثينيات القرن التاسع عشر، وذلك ضمن الموقف السياسي الخارجي[٣٩] المرتبط بالخلافات الروسية البريطانية في الشرق الادنى[٤٠]، وبنشاط السياسة البريطانية في حوض البحر الاسود والقوقاز[٤١], لذلك كثف الشراكسة من عقد اجتماعاتهم الشعبية، واعطوا اهمية كبيرة لتشكيل رأي عام دولي حول المسألة الشركسية، وعلى

المساعدة السياسية والعسكرية للدول الاوربية، وأولها بريطانيا التي كانت تبدي اهتماماً بالغاً بأي معارضة ضد روسيا، سيما اذا كانت هذه المعارضة قائمة في أرض بين روسيا والهند[٤٢]، إذ عملت بريطانيا كل ما في وسعها لإحباط توجهات روسيا – نحو الهند وآسيا الوسطى – وعرقلتها[٤٣], لذلك تابع الانكليز اخبار معارك القوقازيين باهتمام بالغ, وكان الكثير من ساستها المبغضين لروسيا يعلنون صراحةً تأييدهم لقضية استقلال شمال القوقاز عن روسيا[٤٤]، ومن هؤلاء ديفيد أوركهارت (David Urquhart) عميل مكتب المخابرات الخارجية البريطانية، وجون بونسونبي (Ponsonby) سفير بريطانيا في اسطنبول (١٨٣٣-١٨٤٨)، الذين كان لجهودهم دور كبير في اعتراف بريطانيا باستقلال شركيسيا[٤٥].

ركزت الدبلوماسية البريطانية – آنذاك – على عدم الاعتراف بالقوة الروسية في شمال القوقاز، لا بحكم الأمر الواقع ولا بحكم القانون، وتم تبرير ذلك من خلال ادعاءات رجال القبائل الشركسية حول عدم شرعية نقل الإمبراطورية العثمانية للأراضي الشركسية التي لم تكن ملكًا لها أبدًا[٤٦]. وقد بذل البريطانيون جهودًا لتحويل نظام الغارات التي شنها الشراكسة إلى حرب منظمة ضد روسيا ذات أهداف سياسية واضحة، كما استخدم البريطانيون لمواجهة روسيا في المنطقة، مجموعة متنوعة من الأساليب، بما في ذلك دعم شمال القوقاز بالمال والسلاح، وإرسال ضباط استطلاع ومدربين ومحرضين إلى القوقاز، وتشكيل رأي عام لدعم النضال الشركسي من أجل الاستقلال، وبذل الجهود الدبلوماسية للاعتراف باستقلال شركيسيا[٤٧]. وكانت خطط اللورد بالمرستون[٤٨] المعروفة إما إنشاء دولة شركسية مستقلة تماماً (شمال القوقاز)، أو وضعها تحت حماية الإمبراطورية العثمانية مع السلطان باعتباره "صاحب السيادة"، مع الحفاظ على السيطرة البريطانية[٤٩].

يبدو أن المؤتمرات الشعبية التي كان يعقدها الشراكسة، وما تمخض عنها من قرارات، قد أعطى الشراكسة بعداً سياسياً لقراءتهم للأمور, فبعد أن شعروا بضعف وتخاذل الدولة العثمانية، اتجهوا نحو القوى العظمى آنذاك مثل بريطانيا, وهذا يدل على اطلاع الشراكسة على الاوضاع الدولية آنذاك والمامهم بها, ممّا يشير إلى وجود فكر سياسي انبثقت عنه دبلوماسية حاولت نقل القضية الشركسية إلى عواصم تلك الدول العظمى[٥٠].

اما شامل فقد كان يسعى ايضاً إلى كسب تأييد الدول والشعوب لقضية استقلال شمال القوقاز عن روسيا, وكان على علم بالمواقف المتعاطفة مع قضيته في بريطانيا والدولة العثمانية, لذلك ارسل وهو في أوج قوته خلال السنوات (١٨٤٢-١٨٤٥) وفوداً إلى اسطنبول، طالباً المساعدة من السلطان العثماني, كما ارسل رسائل عديدة الى كبار الساسة البريطانيين، يطلب

فيها ايضاً مساعدته في تحقيق استقلال شمال القوقاز, لكن العثمانيين آنذاك لم يقدموا لشامل سوى الوعود, ولم يحصل على شيءٍ من البريطانيين، بل انه لم يستلم جواباً منهم على رسائله[٥١].

وقد كان لانتصارات الداغستان والشيشان في شرق القوقاز عام ١٨٤١[٥٢] أثر بالغ على حركة المقاومة الشركسية, إذ عُقد مؤتمر شعبي كبير، الهدف منه توحيد كل الشراكسة في حربهم ضد القوات الروسية على طول شاطئ البحر الاسود[٥٣], ونتيجة لرغبة الشراكسة في الاتحاد مع قوات شامل وتشكيل جبهة واحدة للضغط على القوات الروسية, فقد استقبل الشراكسة أحد نواب شامل الذي ارسله اليهم، وذلك لتحقيق نوع من الوحدة الفكرية والعقائدية والادارية بين شرق القوقاز وغربه[٥٤].

ثالثاً : موقف القوقاز من حرب القرم ١٨٥٣ – ١٨٥٦

ينقسم المؤرخون فيما بينهم حول اسباب حرب القرم فمنهم من يضع الخلافات الدينية بين فرنسا وروسيا حول الاماكن المقدسة في فلسطين في مقدمة اسبابها, في حين أن بعضهم الآخر لا يرى في النزاع الديني المذكور سوى سبباً مباشراً للحرب, وأن المصالح السياسية والاقتصادية والاستراتيجية المتضاربة بين الدول الاوربية وخصوصاً بين روسيا من جهة وبريطانيا وفرنسا والنمسا من جهة أخرى هي أسباب غير مباشرة للحرب لا تقل في أهميتها عن الامتيازات الدينية، فاعتقاد روسيا أن الوقت قد حان بعدما اخمدت الثورات في اوربا للعودة الى سياسة تقسيم السلطة العثمانية وتأمين مصالحها في تلك الدولة كان يتناقض اساساً مع مصالح الدول الاوربية الاخرى في الدولة العثمانية وفي منطقة الشرق الادنى[٥٥].

وبغض النظر عن اسبابها[٥٦] بدأت حرب القرم بين روسيا والدولة العثمانية في تموز عام ١٨٥٣ عندما عبرت القوات الروسية نهر بروث وضمت ولايتي الدانوب (مولدافيا و ولاشيا)[٥٧] التابعتين للدولة العثمانية, وعلى الرغم من عدم رغبة الدولة العثمانية الدخول في الحرب إلا أنها كانت مرغمة على ذلك, ما جعل بريطانيا وفرنسا تدخلان الحرب الى جانبها, واستمرت هذه الحرب حتى شباط عام ١٨٥٦[٥٨].

عندما بدأت حرب القرم عام ١٨٥٣ خافت روسيا أن تصبح القلاع والحصون التي اقامتها على الشاطئ الشرقي للبحر الاسود معزولة تماماً, وذلك بفعل تهديد دخول الاساطيل البريطانية والفرنسية الى البحر الاسود، لذلك بدأوا وبسرعة اخلاء ذلك الشاطئ وتدمير القلاع ما امكن وابطال الاسلحة التي لم يتمكنوا من اخلائها[٥٩].

أمّا الدولة العثمانية فقد وضعت قضية شمال القوقاز ضمن حساباتها وخططها منذ الايام الاولى لإعلانها الحرب ضد روسيا[٦٠], وقد تعززت هذه التوجهات العثمانية بعد تأييد بالمرستون (الذي كان وزيراً لداخلية بريطانيا) لفكرة قيام انزال بريطاني كبير على سواحل القوقاز في البحر الاسود وطرد الروس من القوقاز[٦١]. لذلك قامت الدولة العثمانية بتحشيد قوات برية ضخمة في حدودها مع القوقاز وقامت بإرسال صفر بيك الذي كان يتمتع بنفوذ كبير بين الشراكسة والذي كان محجوز في اسطنبول خلال تلك المدة لإثارة شراكسة البحر الاسود ضد روسيا[٦٢].

كانت خطة العثمانيين قائمة على تنفيذ هجوم من ثلاثة محاور بمساعدة انزال بحري بريطاني فرنسي مشترك من سواحل البحر الاسود إلى شبه جزيرة القرم يتبعه تقدم العثمانيين من باطوم واردهان وقارص باتجاه تفليس وبمساعدة السكان المسلمين في جورجيا وشراكسة البحر الاسود يتم دحر الجيش الروسي المتواجد في القوقاز[٦٣].

ومن الغريب أن العثمانيين في خطتهم لم يحاولوا الاتصال بشامل والتنسيق معه رغم أن هجوم من شامل باتجاه شرق جورجيا في نفس الوقت الذي تتقدم فيه القوات العثمانية من جهة الغرب كان كفيلاً بتحقيق انتصار مؤكد على القوات الروسية في منطقة القوقاز وفصلها عن روسيا القيصرية في الشمال[٦٤]، وفي هذا دلالة على عمق الاختلاف بين شامل والعثمانيين، وما يؤيد ذلك قيام العثمانيين ومنذ بداية حرب القرم واخلاء الروس للقلاع الموجودة على شاطئ البحر الاسود بإرسال رسائل وبشكل مكثف ومستمر إلى الشراكسة يدعونهم إلى الامتناع عن مساعدة محمد أمين نائب شامل لدى الشراكسة بأي شكل من الاشكال على اساس انه عدو السلطان[٦٥]. يبدو ممّا تقدم أن السلاطين العثمانيين كانوا يخشون النفوذ الذي كان يتمتع به شامل في القوقاز من أن يهدد سلطانهم في البلاد الاسلامية.

وعلى عكس الرأي القائل من أن شامل لم يدرك أهمية الفرصة المتاحة امامه لتحقيق اهدافه، وانه لم يحاول استغلال حرب القرم ليكيل ضربة شديدة الى روسيا[٦٦]، إذ كثف شامل جهوده لتوجيه ضربة قاضية للوجود الروسي في القوقاز عمومًا منذ بداية الحرب، ولكن بقدر امكاناته وقدراته المتوافرة عند اندلاع هذه الحرب، واذا كان هناك نوع من الفتور لتحركات شامل في اثناء الحرب، فهذا لان حرب القرم جاءت متأخرة بالنسبة اليه على الاقل بستة سنوات حسب تعبير أحد المصادر، ولو التفت العثمانيون والبريطانيون لرسائل شامل والتماساته التي كان يطلب فيها المساعدة عندما كان في قمة قوته وسطوته وانتصاراته خلال منتصف الاربعينيات ولا سيما بعد انتصاره على الروس في حملة دارغو الثانية عام ١٨٤٥[٦٧] فلربما كانت الصورة ستتغير من ذلك الحين, فقوة شامل عام ١٨٥٣ هي أقل بكثير من قوته في تلك الايام, إذ استنزف خلال

الحملات الروسية الكثير من قوته وقُتِل أشد نوابه واشجعهم, فضلاً عن أن الناس تعبت جراء الحرب والدمار[٦٨].

غير أن شامل لم يترك تلك الفرصة تمر دون أن يستغلها الاستغلال الامثل، فارسل نائبه في بلاد الشركس محمد أمين مبعوثاً من قبله إلى اسطنبول، إذ عرض على الساسة العثمانيين خطة شامل التي كان ملخصها أن تقوم القوات العثمانية بهجوم واسع وعام على جورجيا، وفي الوقت ذاته يقوم شامل بقيادة الشيشانيين وينزل بهم إلى الاراضي الجورجية، وبعد دحر القوات الروسية هناك تتوجه القوات المشتركة نحو شمال القوقاز الذي سيثور بأكمله عندما يشاهد سكانه قدوم القوات العثمانية, وعلى الرغم من تأكيدات شامل بأنها خطة سريعة ومضمونة لدحر روسيا واخراجها من القوقاز, إلا أن بعض الساسة العثمانيين نظروا إلى تلك الخطة، وإلى قدرات القوقازيين بالاستهزاء, وبعض آخر من الساسة العثمانيين لم يعطوا مبعوث شامل سوى الوعود؛ لأنهم لم يكن في نيتهم القيام بأي عمل من دون دخول فرنسا وبريطانيا الحرب الى جانبهم[٦٩].

كان شامل يرى ان أي تأخير في الهجوم على القوقاز يصب في مصلحة روسيا وليس في مصلحته؛ لأن ذلك يعني قعود قواته من دون حراك ممّا يؤثر في معنوياتها ويقلل يوماً بعد يوم من حماسها واندفاعها؛ لذا ارسل بعض زعماء الشركس يرأسهم نائبه محمد أمين ليعرضوا على عمر باشا قائد القوات العثمانية في قارص خطة القيام بهجوم عام على جورجيا، وفي لحظة ذلك الهجوم يقوم الانباز بثورة كبرى ضد الجورجيين والروس، أمّا الشيشانيون فانهم سينحدرون من الشمال وبذلك سيتم الاطباق على تفليس واسقاطها بسرعة, لكن عمر باشا نظر باستعلاء وعدم تقدير للقوقازيين ونضالهم، وكان كل ما قام به هو أن نصح هؤلاء الزعماء أن يلزموا الهدوء والسكينة ويتحاشوا اغضاب الروس بتدخلهم وقيامهم بمناوشات لا فائدة منها[٧٠].

كما قام شامل بإرسال وفداً إلى مقر القيادة الروسية البريطانية الفرنسية المشتركة في فارنا ببلغاريا لكن المباحثات لم تسفر عن شيء, إذ أظهر الانكليز والفرنسيون عدم اهتمام ومبالاة بصراع شامل مع الروس في الداغستان والشيشان، وابلغوه بأنهم مهتمون بالشراكسة اكثر من اهتمامهم به[٧١]. يبدو أن هذا الجواب، فضلاً عن الجواب الذي تلقاه من عمر باشا قائد القوات العثمانية، اغضب شامل وجميع اتباعه حتى انه اقسم ان لا يتعامل مع الاتراك، وقرر القيام بعمل منفرد، فدعا قواته الموجودة في داغستان والشيشان، وهاجم في اواخر عام ١٨٥٣ شمال شرق جورجيا ولكن محاولته تلك فشلت، اذ استطاعت القوات الروسية صده فآثر الانسحاب للمحافظة على ارواح مقاتليه[٧٢].

اما الشراكسة فقد انقسموا بين مؤيد ومعارض وحيادي من الوقوف الى جانب العثمانيين في الحرب[٧٣]، وفي الوقت ذاته بدأت تظهر ملامح الصراع الداخلي بين القيادات المحلية المتمثلة بالزعيم الشركسي صفر بيك وبين محمد امين نائب شامل في المنطقة، إذ لم يكن للشراكسة زعيم واحد يلتف الجميع حول رايته، وقد حاولت المؤتمرات الشعبية ملئ او تعويض هذا الفراغ، إلا أن معطيات الاوضاع آنذاك كانت تحتم وجود مرجع اعلى للقيادة الشركسية، هذا الامر لم يتحقق بسبب الاصرار الشركسي على رفض وجود زعيم اوحد لهم، مما دفع الروس بمحاولة اقناع الشراكسة بالتبعية للإمبراطورية الروسية بالطرق التي تظهر قوة وعظمة روسيا واستحالة انتصار الشراكسة عليها[٧٤].

ونتيجة تدهور الاوضاع في شركسيا اتجه الشراكسة نحو البحث عن حليف يدعمهم في حربهم ضد روسيا وكان التوجه نحو بريطانيا، التي اعلنت مع فرنسا في ٢٧-٢٨ اذار ١٨٥٤ الحرب على روسيا الى جانب الدولة العثمانية[٧٥]، وبذلك اخذ العثمانيون يتصرفون بشجاعة وجرأة اكثر من السابق بخصوص مسالة القوقاز، ففي ١٠ نيسان ١٨٥٤ احضر الساسة العثمانيون صفر بيك الى اسطنبول واعطوه رتبة الباشوية، واخذوا ينسقون معه بخصوص اثارة الشركس على سواحل البحر الاسود، وفي الوقت ذاته جرت مفاوضات بين النائب محمد امين مبعوث شامل الى اسطنبول والسلطان عبد المجيد، وفي ذلك اللقاء الح محمد امين على مسالة طلب السلاح والذخيرة التي كان المقاتلون القوقازيون يعانون آنذاك من نقص كبير فيها[٧٦]، وبعد انتهاء تلك المفاوضات امر السلطان عبد المجيد بتجهيز سفينه عثمانية تحمل مساعدات عسكريه وتموينيه وامر بتحركها الى سواحل القوقاز على البحر الاسود[٧٧].

غير ان رحلة تلك السفينة لم يكتب لها ان تكتمل، إذ اعترضتها السفن البريطانية والفرنسية بعد مدة وجيزة من ابحارها وارستها بجنب سفنهم الراسية في البحر الاسود، وعلى الرغم من اعتراض قائد الاسطول العثماني في البحر الاسود لهذا الاجراء، إلا أن الحلفاء برَّروا اجرائهم بأنه يجب تدمير الاسطول الروسي واحتلال سيفاستبول[٧٨] اولاً ثم بعد ذلك يكون التوجه نحو القوقاز[٧٩]. نستشف من هذا، عدم جدية الحلفاء فيما يتعلق بالمسالة القوقازية، وهناك شواهد وادله تاريخيه تؤيد ذلك، منها رفض الحلفاء المقترح الذي قدمه النائب محمد امين اثناء زيارته في اواخر حزيران ١٨٥٤ المقر المشترك للقيادة البريطانية- الفرنسية في مدينة فارنا، عندما كان يقوم بجهود كبيرة لكسب تأييد الدول الكبرى لقضية استغلال شمال القوقاز، اذ اقترح القيام بهجوم بحري عثماني بريطاني فرنسي على ميناء انابا وانزال قواتهم على الساحل حيث سيساندهم جميع الشراكسة، وفي الوقت ذاته يقوم العثمانيين بهجوم واسع على جورجيا، لكن الحلفاء كانت لهم

حسابات اخرى، فرفضوا هذه الافكار وفضلوا مهاجمة سيفاستبول[٨٠]، وكان الجانب الفرنسي هو الاكثر تصلبا تجاه خطط القوقازيين، اما البريطانيون فانهم وان كانوا قد رفضوا ايضًا مقترحات محمد امين إلا أنهم لم يريدوا ان يقطعوا صلتهم مع القوقازيين او ان يدفعوهم للهدوء والسكينة، وحتى بعد ارتقاء بالمرستون صاحب مشروع استقلال القوقاز الى منصب رئاسة الوزارة البريطانية في شباط ١٨٥٥، وسقوط سيفاستبول بيد الحلفاء في ٨ ايلول ١٨٥٥، فأن خطط ومقترحات شامل لم يعمل بها ولا عمل بمشروع بالمرستون، الامر الذي يضع حقيقة ومدى جدية البريطانيين ورئيس وزرائهم بالمرستون في طرح هذا المشروع على المحك[٨١]، فهل يصح الرأي القائل بأن استقلال القوقاز ابداً لم يكن امراً مهماً وجدياً بالنسبة لهذه الدولة وهم انما طرحوه لزيادة الضغط على روسيا فقط[٨٢]؟ ام ان تسرع فرنسا في عقد الصلح مع روسيا كان هو السبب في جعل البريطانيين يتركون مشاريعهم تجاه روسيا ومنها مشروع استقلال القوقاز لانهم ان اصروا على موقفهم سيضطرون الى مواجهة روسيا بمفردهم[٨٣]؟ وهل ان العثمانيين قصروا في تعاونهم مع شامل ومريديه بسبب عجزهم المعتاد[٨٤].

انتهت حرب القرم وتوقفت الاعمال القتالية في الجبهات وبدأت اعمال مؤتمر الصلح في باريس في شباط ١٨٥٦[٨٥]، كان صفر بيك خلال ذلك الوقت موجود في انابا، وكان يعرف تماماً مقترحات حلفاء العثمانيين الانكليز بالنسبة لشركسيا، اذ كان ذلك الاقتراح يقوم على استقلال شركسيا او تبعيتها الاسمية للسلطنة العثمانية[٨٦]، الا ان آمال سكان شمال القوقاز لم تنقطع في امكانية الحصول على الاستقلال عبر هذا المؤتمر، ولأجل هذا الغرض سافر احد وجهاء الشركس واسمه هوشت حسان الى بريطانيا، وقدم التماسات الى الملكة فكتوريا(١٨٣٧-١٩٠١) بضرورة عرض قضية استقلال شمال القوقاز في المؤتمر واجبار الروس على الموافقة على هذا الاستقلال[٨٧]، لذلك كان من بين الامور التي طرحها الجانب البريطاني اثناء المحادثات التي بدأت في باريس في ١٦ شباط ١٨٥٦ من اجل وضع الترتيبات التفصيلية حول شروط الصلح النهائية هي استقلال شركسيا لتكون دولة حاجزة بين روسيا والدولة العثمانية[٨٨].

لكن كان هناك كثير من الحسابات والمصالح التي اخذها بالحسبان كل طرف دولي عند تعامله مع قضية استقلال شمال القوقاز، سيما بعد تحقيق النصر على روسيا، فالفرنسيين نظروا الى بقاء القوقاز تحت السيادة والسيطرة الروسية افضل لمصالحهم عموماً من استقلالها او جعلها تحت سيادة السلطان العثماني؛ لأنه في كلتا الحالتين سيكون النفوذ البريطاني هو المهيمن هناك[٨٩]، اما البريطانيون فقد كان الكثير منهم يرى عدم جدوى اعطاء الاستقلال للقوقاز وذلك

لان روسيا دولة كبرى وقوية وهي ان خرجت اليوم فهي لا بد عائدة غداً الى منطقة تعدها جزءاً من روسيا الام لذلك فان النتيجة لن تختلف في النهاية[٩٠].

وبذلك يمكن القول ان الظروف كانت ملائمة لاستقلال شمال القوقاز عقب حرب القرم، غير ان تضارب المصالح بين الدول الكبرى كان سبباً في ضياع تلك الفرصة، وخير مثال على قولنا هذا طلب كلارندون وزير خارجية بريطانيا من نابليون الثالث ان يكون شديداً في مسألة ان حدود نهر كوبان يكون افضل حدود لروسيا على الشواطئ الشرقية للبحر الاسود مقابل تنازل فرنسا وبريطانيا عن استقلال شركسيا[٩١]. يبدو ان هذا الطلب البريطاني جاء بعد رفض الجانب الفرنسي في ادخال قضية استقلال شمال القوقاز الذي طرحه البريطانيين.

الخاتمــة

دلت المعلومات الواردة في البحث، على ان القوقازيين مارسوا فضلاً عن العمل الثوري العسكري نشاطاً سياسياً دبلوماسياً، سواء من طرف الشراكسة المتمثل بالمؤتمرات الشعبية، او من طرف شامل الذي كان يسيطر على الشيشان وداغستان حيث اسس حكم اسلامي هناك. وقد استطاع ذلك النشاط السياسي ان ينقل قضية استغلال شمال القوقاز الى المحافل الدولية كادت أن تحقق اهدافها في الاستقلال من خلال حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦) لولا تضارب مصالح الدول الكبرى لا سيما فرنسا وبريطانيا والدولة العثمانية.

مجلة دراسات تاريخية
Journal of Historical Studies

الهوامش:

(1) Hakan Altin, Xix. Yuzyil Bati Anadolu Bolgesine Kafkas Gocleri, Yüksek Lisans Tezi, (Pamukkale Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü, Tarih Anabilim Dalı), DENİZLİ, 2019, p.5.

(٢) عاصم حاكم عباس الجبوري ونضال أبو جواد آمانة , القوقاز التسمية وتشكيل الخارطة الجغرافية والديمغرافية , مجلة القادسية للعلوم الانسانية , المجلد ١٩ , العدد ٤ , ٢٠١٦ , ص٤٠٦.

(٣) محمود عبد الرحمن , تاريخ القوقاز نسور الشيشان في مواجهة الدب الروسي , دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت , ١٩٩٩ , ص٨.

(٤) عاصم حاكم عباس الجبوري ونضال أبو جواد آمانة , المصدر السابق ، ص٤٠٦.

(٥) لبنى خميس مهدي وكرار عباس متعب فرج , الأهمية الأستراتيجية لأقليم القوقاز وفق المنظور الروسي , مجلة جامعة كربلاء العلمية , المجلد ١٣ , العدد ٤ , ٢٠١٥ , ص٢١٥.

(٦) احسان عبد الحميد فن, الشيشان حرب ابادة وجريمة عصر, وزارة الاعلام في الجمهورية العربية السورية, ١٩٩٧, ص١٩.

(٧) محمود شاكر , قفقاسية , مؤسسة الرسالة , بيروت , ١٩٧٢ , ص٢٠.

(٨) ياسر محمد عليوي, القوقاز جذور الأزمة وانعكاساتها الاقليمية, مجلة الجامعة العراقية, عدد١/٣٠, ص٣١١.

(٩) علي محمد كشت , الصراع الداخلي في منطقة شمال القفقاس الشركسية : دراسة وتحليل (١٩٩١ – ٢٠٠٧) , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الدراسات العليا , الجامعة الأردنية , ٢٠٠٩ , ص١٥ ؛

Serdar Oğuzhan Çaycıoğlu, Çarlık Rusya'nın Kafkas Hattı'nı İnşası ve Kuzey Kafkasya'da Hâkimiyet Kurma Mücadelesi, Belleten, Cilt/Vol.: 86 – Sayı/Issue: 306, Turk Tarih Kurumu , 2022, p.722-723.

(١٠) للمزيد من الاطلاع على تلك الحروب الروسية العثمانية، ينظر: منصور بن معاضة بن سعد العمري ، الحروب والمعاهدات العثمانية الروسية خلال الفترة من (١٧٠٩-١٨٠٥) دراسة تحليلية نقدية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة ام القرى ، السعودية ، ٢٠١٠ ، ص ١٦٦-١٨٠ .

(١١) للمزيد عن الحروب الروسية الفارسية، ينظر: أنوار صباح البهادلي , الحروب الإيرانية – الروسية ١٨٠٤ – ١٨٢٨ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية التربية – ابن رشد , جامعة بغداد , ٢٠٠٦ , ص٣٤ – ١٠٠.

(١٢) للاطلاع على بنود معاهدة تركمانجاي ينظر: المصدر نفسه , ص٩٥ –١٠٠ ؛ فاطمة قاضيها , اسنادي از روند معاهدة تركمانجاي ، انتشارات سازمان اسناد علي ايران , تهران , ١٣٧٤ش.

(١٣) محمود عبد الرحمن المصدر السابق , ص٥٥– ٥٦ ؛ أحمد موسى الشيشاني , حرب القوقاز الاولى , كتاب شهري يصدر عن رابطة العالم الاسلامي , السنة الثالثة عشرة – ١٤١٥هـ , العدد ١٥٢ , ص٦٨ –٦٩.

(١٤) ياسر محمد عليوي , المصدر السابق , ص٣١٣.

(15) Hakan Altin , Op Cit , p.40.

(١٦) ياسر محمد عليوي , المصدر السابق , ص٣١٣-٣١٤ ؛ علي محمد كشت ، المصدر السابق ، ص١٩.

(١٧) محمود عبد الرحمن ، المصدر السابق ، ص ٥٨-٥٩ ؛ ياسر محمد عليوي ، المصدر السابق ، ص٣١٤.

(١٨) محمود عبد الرحمن ، المصدر السابق ، ص٥٩-٦٠.

(١٩) كلمة مريد تعني من يوجه إرادته إلى عمل ما، تم استخدامه في المؤلفين الروس والمصطلحات القوقازية بمعنى "محارب ديني، جندي، مقاتل". ووفقًا للمصادر التاريخية، فإن الحركة المريدية هي حركة طرحها أبناء الطائفة النقشبندية، وهي حركة تقوم على النضال ضد الحكام الكفار والمسلمين السيئين الذين هم خدمهم، حتى الحكم الله غالب في الأرض، للمزيد ينظر:

Hakan Altin , Op Cit , p.40 .

(٢٠) الملا محمد غازي: ولد عام ١٧٩٣ في جيمري احدى قرى داغستان، من أصل آفار، واصل بجد تعليمه في المدرسة الإسلامية الكلاسيكية في الجزء الشرقي من شمال القوقاز وداغستان، نشأ بجوار العلماء وتعلم المعرفة الإسلامية في عصره، وعرف جيدًا آثار حركة الإمام المنصور في القوقاز، وكان يعتقد أن الطريقة الوحيدة لوقف

محاولات الغزو الروسي هي الحفاظ على الإيمان بالجهاد حيًا، للمزيد ينظر: Hakan Altin , Op Cit , p.41-42.

(٢١) قُتل حمزات بيك نتيجة عملية اغتيال نظمها الحاج مراد في ١٩ ايلول ١٨٣٤، للمزيد ينظر: Elvan ÖZPOLAT , ŞEYH ŞAMİL VE EKİBİNİN OSMANLI DEVLETİ'NE GELİŞ SÜRECİ VE SONRASINDA YAŞANANLAR (1869-1871) , (Yüksek Lisans Tezi) , KÜTAHYA DUMLUPINAR ÜNİVERSİTESİ LİSANSÜSTÜ EĞİTİM ENSTİTÜSÜ Tarih Anabilim Dalı , Kütahya – 2020, p.11.

(٢٢) استسلم الإمام شامل للجنرال باریاتنسكي عام ١٨٥٩ مع ولديه وبعض من تلامذته، بشرط أن يذهب هو وحاشيته إلى إسطنبول، لكن الروس لم يفوا بكلمتهم وحكموا على الإمام شامل بالسجن مدى الحياة بنقله إلى بطرسبرغ في ١١ أيلول ١٨٥٩، وبعد ذلك بوقت قصير إلى مدينة كالوغا، حيث مكث هناك لمدة ١٠ سنوات. جاء الشيخ شامل إلى إسطنبول في نيسان ١٨٦٩، تاركًا ولديه كرهائن، وبعد لقائه بالسلطان عبد العزيز، تم إرساله إلى مصر للذهاب إلى المدينة المنورة، وبعد أن استقر في المدينة المنورة وأدى فريضة الحج، توفي في ٤ شباط ١٨٧١ ودفن في مقبرة جنة الباقي بالمدينة المنورة، للمزيد ينظر:

Hakan Altin , Op Cit , p.46-47.

(٢٣) علي محمد كشت ، المصدر السابق ، ص٢٠.

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ٢٠-٢١.

(٢٥) شيماء علي عواد الدودان، روسيا القيصرية في عهد القيصر نيقولا الثاني (١٨٩٤-١٩١٧) دراسة في السياسة الداخلية والخارجية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات التاريخية، جامعة البصرة، ٢٠١١، ص٢٦.

(٢٦) للمزيد من التفاصيل عن معاهدة أدرنه وبنودها، ينظر: Anderson, M. S. , The Great Powers And the Near East 1774 – 1923 , Edward Arnold Ltd. , London , 1970 , P.33-35.

(27) Hakan Altin , Op Cit , p.58-59.

(٢٨) سعاد محمد سعيد صعب، الشراكسة في الوطن العربي بين الحفاظ على الهوية القومية والاندماج الحقيقي ١٨٦٤-٢٠١٠، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القدس، معهد الدراسات الاقليمية، فلسطين، ٢٠١١، ص٢٢.

(٢٩) علي محمد كشت ، المصدر السابق ، ص٢٢.

(30) Hakan Altin , Op Cit , p.59.

(٣١) علي محمد كشت ، المصدر السابق ، ص٢٢.

(٣٢) للمزيد ينظر: محمود عبد الرحمن ، المصدر السابق , ص٥٤- ٥٥.

(٣٣) عندما بدأت الهجمة الاستعمارية الروسية على القوقاز لم تكن القبائل الشركسية تشكل كيانًا سياسيًا واحدًا، بل كانت كل قبيلة شركسية تنظم امورها بمفردها، وفي حال تعرض هذه القبائل لخطر خارجي داهم كانت تتحد وتتحالف لصد هذا الخطر، للمزيد ينظر: المصدر نفسه , ص٥٥.

(٣٤) علي محمد كشت ، المصدر السابق ، ص١٦-٢٤.

(٣٥) المصدر نفسه ، ص٢٢-٢٣.

(٣٦) المصدر نفسه ، ص٢٣.

(٣٧) المصدر نفسه ، ص٢٣.

(٣٨) المصدر نفسه ، ص٢٣.

(٣٩) وُقِّعت في عام ١٨٣٣م معاهدة هونكار إسكيله سي بين روسيا والدولة العثمانية، تلك المعاهدة التي أزعجت السياسة الأوروبيَّة سيما بريطانيا وفرنسا الذين كانت لهم مصالح كبيرة في المنطقة، لان المعاهدة أعطت روسيا سيطرةً عمليَّةً على مضايق –الدردنيل والبوسفور– الإستراتيجية، ومن ثم وصول روسيا إلى البحار الدافئة، وكان لدى إنجلترا وفرنسا نفس المخاوف بشأن هبوط الروس في البحر الأبيض المتوسط. ولهذا السبب، كان لا بد لهم من التعاون لإزالة الوصاية الروسية في منطقة المضايق. ولهذا ستتحوَّل السياسة الإنجليزيَّة، بزعامة رئيس الوزراء الشهير اللورد بالمرستون Lord Palmerston، إلى إعانة الدولة العثمانية ودعمها في المرحلة القادمة، وقد أوضح بالمرستون سياسة دولته في رسالة مختصرة أرسلها إلى السفير البريطاني في باريس قال له فيها: «ينبغي أن نُؤيِّد السلطان بكلِّ ما في وسعنا، بمساعدة فرنسا إذا شاءت الاشتراك معنا، ودونها إذا رفضت ذلك»، للمزيد ينظر: دولينا، نينل الكسندروفنا، الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن التاسع عشر، ترجمة: أنور محمد إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٩م ، ص٣٤.

(٤٠) للمزيد من التفاصيل عن الخلافات البريطانية الروسية في الشرق الادنى، ينظر:

Harold Temperley, England and the Near East-The Crimea , Longmans, Green And CO. , London New York Toronto, 1963.

(٤١) هنري جون تمبل بالمرستون (Henry John Temple Palmerston): سياسي بريطاني ترك بصمة واضحة في الدبلوماسية البريطانية، ولد في العشرين من تشرين الاول عام ١٧٨٤ في مقاطعة برودلاند هامبشاير في جنوب بريطانيا، تولى العديد من المناصب السياسية، فقد اصبح وزيرًا للخارجية ثلاث مرات الاولى خلال المدة (١٨٣٠-١٨٣٤)، والثانية (١٨٣٥-١٨٤١)، والثالثة (١٨٤٦-١٨٥١)، كما اصبح وزيراً للداخلية خلال المدة (١٨٥٢-١٨٥٥)، فضلًا عن ذلك توليه رئاسة الوزراء مرتين الاولى خلال المدة (١٨٥٢-١٨٥٥)، والثانية خلال المدة (١٨٥٩-١٨٦٥) تمكن من توجيه السياسة البريطانية بكفاءة عالية وكان متبعًا في ذلك مبدأ الحلول الوسطى، توفي عام ١٨٦٥، للمزيد من التفاصيل ينظر:

Trollope, Antony , Lord Palmerston , London , 1882 , P.1-22 ;

الخيكاني, حيدر صبري شاكر ، بالمرستون ودوره في السياسة البريطانية (١٨٣٠-١٨٦٥) ، مجلة التاريخ والاثار ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٩ ، ص١-٢٥.

([42]) Veronika Tsibenko , The Lost Circassia and the Found Circassians: Caucasian Migration to the Ottoman Empire, Türkiyat Mecmuası-Journal of Turkology 32, 1 , (2022) , p.412.

([٤٣]) للمزيد من الاطلاع على الصراع بين روسيا وبريطانيا حول الهند واسيا الوسطى، ينظر:

Rowlinson, Henry, England and Russia in the East, London , 1875 , P.5-250.

([٤٤]) وصف السياسيون والكتاب السياسيون البريطانيون (وكذلك المسافرين والدبلوماسيين والصحفيين وضباط المخابرات الذين زاروا المنطقة شخصيًا)، الأعمال العدائية التي قام بها شمال القوقاز ضد روسيا بأنها صراع ضد استعباد روسيا و"نضال حديث من أجل الحرية"، للمزيد ينظر:

Veronika Tsibenko , Op Cit , p.412.

([45]) Abdullah Temizkan , "Lehistanlıların İstanbul'da Lobi Faaliyetleri ve Kafkasya'ya Lejyon Gönderme Girişimleri", Türklük Bilimi Araştırmaları, 28 (2010) , P.365-366.

([46]) Veronika Tsibenko , Op Cit , p.413.

([47]) Abdullah Temizkan , Op Cit , 364-365 ; Veronika Tsibenko , Op Cit , p.413.

([٤٨]) سبب التقدم الروسي في كل من القوقاز وتركستان مصدر قلق كبير للبريطانيين؛ بسبب مصالحهم في الهند والبحار الجنوبية، لذا كان عليهم أن يجدوا طريقة لإيقاف الروس إن أمكن، أو لتأخيرهم هناك. وفي الوقت ذاته، لم يتم استبعاد الحصة التي ستحصل عليها الرأسمالية البريطانية من الأنشطة التجارية مع البحر الأسود والقوقاز، وبدلاً من إيقاف الروس بشكل مباشر في القوقاز، بدأ البريطانيون بالتفكير في تنظيم حركة مقاومة ضد الروس هناك، سواء من خلال الاستفادة من نفوذ الإمبراطورية العثمانية في القوقاز أو من خلال إرسال جواسيس بريطانيين إلى المنطقة، للمزيد ينظر:

Abdullah Temizkan , Op. Cit , 364-365.

([49]) Veronika Tsibenko , Op. Cit , p.413.

([٥٠]) علي محمد كشت ، المصدر السابق ، ص١٦-٢٤.

([51]) Quoted in: Blanch, Lesly, The Sabres of Paradise , 2Ed , London-Milbourne-New York , Quartet Books Limited , 1978 , p.12-13.

([٥٢]) للمزيد من التفاصيل عن الانتصارات التي حققها الداغستانيون والشيشانيون بقيادة شامل عام ١٩٤٠، ينظر:

Elvan ÖZPOLAT , Op. Cit , p.14.

([٥٣]) علي محمد كشت ، المصدر السابق ، ص٢٧.

([٥٤]) يوسف عزت , تاريخ القوقاز , تعريب: عبد الحميد غالب بك , مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه , القاهرة , ١٩٤٠ , ١٤٣ ؛ علي محمد كشت , المصدر السابق , ص٢٩.

(٥٥) عبد الرؤوف سنو , العلاقات الروسية العثمانية (١٦٣٧ – ١٨٧٨) حرب القرم : ممهداتها وتطوراتها ونتائجها (١٨٥٣ – ١٨٥٦) , الحلقة الثالثة , تاريخ العرب والعالم , بيروت , ص٢.

(٥٦) للمزيد عن اسباب حرب القرم ينظر: محمد عبد ذكر الحمداني, موقف بريطانيا من حرب القرم ١٨٥٣-١٨٥٦، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب، جامعة ذي قار، ٢٠١٠، ص٦٢– ١٠٥؛ نايف عبد نايف النجم ، موقف النمسا من حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦) ، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية , المجلد ٤ , العدد ١٢ , ٢٠١٢ , ص٤٨-٥٠. .

(٥٧) للاطلاع على الاجتياح الروسي لولايتي الدانوب والموقف الدولي منها ينظر: فهد عويد عبد عايد ، التطورات السياسية في إمارتي الدانوب (ولاشيا و مولدافيا) والموقف الدولي منها ١٨٤٨ -١٨٨١ ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ٢٠١٤ ، ص١٦٩-١٨٦.

(٥٨) نايف عبد نايف النجم ، المصدر السابق , ص٤٨.

(٥٩) علي محمد كشت ، المصدر السابق ، ص٢٨.

(٦٠) في وقت مبكر من اعلان حرب القرم، وتحديدًا في شهر تشرين الثاني، ارسل العثمانيين اسطولهم في رحلة استفزازية لإثارة شركسيا ضد القوات الروسية للمزيد من التفاصيل ينظر:

Harold Temperley, Op Cit , p.271.

(٦١) أحمد عبد الرزاق الكبيسي , الاوضاع السياسية في الشيشان ١٨١٧ – ١٩١٧ , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الآداب , جامعة بغداد , ٢٠٠٣ , ص١٣٩.

(٦٢) أحمد موسى الشيشاني , المصدر السابق , ص١٤٩.

(٦٣) المصدر نفسه , ص١٤٩.

(٦٤) المصدر نفسه , ص١٥٠.

(٦٥) علي محمد كشت ، المصدر السابق ، ص٣٠.

(٦٦) باديللي، جون. ف ، احتلال الروس للقفقاس ، ترجمة صادق ابراهيم عودة ، مكتبة الاقصى للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٨٧ ، ص٤٦٢.

(٦٧) للمزيد من الاطلاع على النتائج التي حققتها قوات شامل في مواجهتها للقوات الروسية سيما في معركتي دارغو الاولى والثانية خلال المدة الممتدة مابين عامي (١٩٤٣-١٩٤٥)، ينظر: Elvan ÖZPOLAT 15. , Op. Cit , p.14-

(68) Blanch, Lesly, Op Cit , p300.

(٦٩) أحمد عبد الرزاق الكبيسي , المصدر السابق, ص١٤٠-١٤١.

(٧٠) المصدر نفسه , ص١٤١.

(٧١) أحمد موسى الشيشاني , المصدر السابق , ص١٥٠.

(٧٢) باديللي، جون. ف ، المصدر السابق ، ص٤٦١.

(٧٣) أحمد موسى الشيشاني , المصدر السابق , ص١٥٠.

(٧٤) علي محمد كشت ، المصدر السابق ، ص٣٠.

(75) Harold Temperley , Op Cit , p.366-384.

(٧٦) كانت عملية مهاجمة القوات الروسية تشكل احد المصادر المهمة لسلاح وعتاد القوقازيين، لذا تسبب قلة مرور وتنقل القوات الروسية داخل القوقاز بعد اندلاع حرب القرم في نقص كبير للسلاح والذخيرة ؛ فضلا عن صعوبة شراء وتهريب السلاح وذلك لكثرة وجود القوات الروسية على الحدود في اثناء تلك الحرب، ينظر: أحمد عبد الرزاق الكبيسي , المصدر السابق , ص١٤٢.

(٧٧) أحمد عبد الرزاق الكبيسي , المصدر السابق , ص١٤٢.

(٧٨) سيفاستبول: مدينة في شبه جزيرة القرم وهي قاعدة بحرية رئيسة للأسطول الروسي في البحر الاسود، وكان تحصينها في اربعينيات القرن التاسع عشر بشكل جيد، ولهذا اصبح الاستيلاء عليها الهدف الرئيس لبريطانيا وفرنسا، لان البريطانيين والفرنسيين يعتقدون ان تدميرها سيضمن استقلال الدولة العثمانية المستمر، وعليه حوصرت في حرب القرم لمدة اثني عشر شهرًا بواسطة قوة بريطانية – فرنسية حتى تمكنوا من اقتحامها، وقد جردت عسكريًا بموجب معاهدة باريس، إلا أن الروس أعادوا تحصينها عام ١٨٧١ واستعادة أهميتها خلال سنوات قليلة، للمزيد من التفاصيل ينظر: بالمر، آلان , موسوعة التاريخ الحديث (١٧٨٩-١٩١٤) ، ترجمة: سوسن فيصل السامر ويوسف محمد امين ، دار المأمون ، بغداد ، ١٩٩٣ , ص٢٦٤.

(٧٩) أحمد عبد الرزاق الكبيسي , المصدر السابق , ص١٤٣.

(80) Seton-Watson, Hugh , The Russian empire 1801-1917 , Oxford , Clarendon Press , 1967 , p.324-325.

(٨١) أحمد عبد الرزاق الكبيسي , المصدر السابق , ص١٤٦-١٤٧.

(82) Blanch, Lesly, Op Cit , p.13.

(٨٣) أحمد محسن عبد البديري , السياسة البريطانية تجاه المضائق العثمانية ١٨٤١-١٨٧٨ دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، (جامعة بابل، كلية التربية صفي الدين الحلي، ٢٠١١)، ص١٣٣.

(٨٤) باديللي، جون. ف ، المصدر السابق ، ص٤٦٠.

(٨٥) فهد عويد عبد عايد ، المصدر السابق ، ص٢٠٧.

(٨٦) علي محمد كشت , المصدر السابق , ص٣١.

(٨٧) أحمد عبد الرزاق الكبيسي , المصدر السابق , ص١٤٧-١٤٨.

(٨٨) محمد عبد ذكر الحمداني , المصدر السابق ، ص٢٥٥.

(٨٩) أحمد عبد الرزاق الكبيسي , المصدر السابق , ص١٤٨.

(٩٠) باديللي، جون. ف ، المصدر السابق ، ص٤٥٩.

(٩١) محمد عبد ذكر الحمداني , المصدر السابق ، ص٢٥٥-٢٥٦.